

\* سِلْسِلَةٌ : المَقَامَاتُ الأَدَبِيَّةُ (٤)

# مَقَامَةُ التَّقَاعِدِ

بقلم

أ.د. أحمد بن علي القرني

عُضُورَ ابْطَةَ الأَدَبِ الإِسْلَامِي العَالَمِيَّةِ

١٤٤٢ هـ

"يَالْهَفَ قَلْبِي عَلَى شَيْئَيْنِ لَوْ جُمِعَا  
عِنْدِي لَكُنْتُ إِذَا مِنْ أَسْعَدِ الْبَشَرِ  
كَفَافِ عَيْشٍ يَقِينِي شَرَّ مَسْأَلَةٍ  
وَخِدْمَةِ الْعِلْمِ حَتَّى يَنْتَهِيَ عُمْرِي"

النشرة الأولى

شعبان ١٤٤٢ هـ

لِلتَّوَاصُلِ مَعَ الْمُؤَلِّفِ  
عَلَى الْبَرِيدِ الشَّبَكِيِّ

[DAL1388@gmail.com](mailto:DAL1388@gmail.com)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مَقَامَةُ التَّقَاعُدِ

قَالَ حَيُّ بْنُ يَقْظَانَ: كَانَ فِي حِينَا رَجُلٌ لَطِيفُ الْمَعَشَرِ،  
لَيْسَ بِاللَّيِّنِ وَلَا بِالْأَقْسَرِ. بَلْ كَانَ وَسَطًا بَيْنَ بَيْنِ، وَرَجُلًا  
بَيْنَ رَجُلَيْنِ. وَكَانَ يَعْمَلُ فِي مَجَالِ التَّدْرِيسِ، وَيُرَوِّي  
الطُّلَّابَ عِلْمَ مَالِكٍ وَابْنَ إِدْرِيسَ.

فَخَطَرَ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ خَاطِرٌ مُعْكَرٌ، أَلَا وَهُوَ التَّقَاعُدُ  
الْمُبَكَّرُ. فَفَكَّرَ فِي الْأَمْرِ وَقَدَّرَ، وَقَدَّمَ رَجُلًا وَآخَرَ. ثُمَّ رَأَى  
أَنَّهَا فِكْرَةٌ رَاجِحَةٌ، وَفُرْصَةٌ سَانِحَةٌ. وَالْحَكِيمُ مَنْ يَقْتَنِصُ  
الْفُرْصَ قَبْلَ أَنْ تَطِيرَ، وَإِلَّا تَجَرَّعَ الْغُصَصَ كَمَا قَالَ الْأَخْرَسُ  
وَابْنُ بَشِيرٍ (١).

فَعَقَدَ الْعَزْمَ عَلَى التَّقَاعُدِ، وَمَضَى لِرِئْسِهِ وَأَنْفَاسُهُ فِي  
تَصَاعُدٍ. حَتَّى إِذَا مَا وَقَعَ الْوَرَقَةَ، مَسَحَ حِينَهَا عَرَقَهُ. وَقَالَ:  
أَنَّ لِأَبِي الْفَضْلِ أَنْ يَمُدَّ رِجْلَيْهِ، وَأَنْ يُرِيحَ عَيْنَيْهِ وَأُذُنَيْهِ.

**قَالَ الرَّأْيِيُّ:** فَلَمَّا تَسَامَعَ النَّاسُ بِتَقَاعُدِهِ، وَانْصِرَافِهِ عَنِ مَجْرَى الْمَاءِ إِلَى رَاكِدِهِ. جَاؤُوا إِلَيْهِ وَحَدَانَا وَزُرَّافَاتٍ، وَقَدْ اشْرَابَتْ أَعْنَاقُهُمْ كَالزَّرَافَاتِ. كُلُّ يَرُومٍ سُؤَالُهُ عَنِ سَبَبِ اتِّخَاذِ هَذَا الْقَرَارِ، وَيَلُومُهُ عَلَى الْمُكُوثِ فِي الْبَيْتِ وَالْقَرَارِ.

فَاسْتَقْبَلَهُمْ وَهُوَ مُتَبَشِّشٌ <sup>(٢)</sup>، وَأَعَدَّ لَهُمُ الْقَهْوَةَ وَالشَّايَ الْمُنْعِنَشَ <sup>(٣)</sup>. فَلَمَّا أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ، وَقَدْ أَدْرَكَ هَاجِسَهُمْ <sup>(٤)</sup>. **قَالُوا:** مَا هَذَا الَّذِي بَلَّغْنَا عَنْكَ يَا أَبَا الْفَضْلِ، وَقَاكَ اللَّهُ شَرَّ النَّضْلِ <sup>(٥)</sup>، وَكَفَاكَ أَلَمَ الْعَضْلِ <sup>(٦)</sup>. **فَقَالَ:** وَمَا الَّذِي بَلَّغَكُمْ، حَتَّى كَدَّرَ صَفْوَكُمْ، وَجَلَبَ جَمْعَكُمْ. **فَقَالُوا:** بَلَّغْتَنَا عَنْكَ قَالَهُ <sup>(٧)</sup>، وَهِيَ أَنَّكَ قَدَّمْتَ الْإِسْتِقَالَهَ. وَمِنَ الْعَمَلِ تَقَاعَدْتَ، وَعَنِ الْعِلْمِ تَبَاعَدْتَ.

فَنظَرَ إِلَيْهِمْ نَظْرَةَ الشَّفِيقِ، إِذْ شَاهَدَ الْغَرِيقَ، ثُمَّ **قَالَ** وَقَدْ صَبَّ شَايًا مِنَ الْإِبْرِيْقِ. مَا جِئْتُ شَيْئًا إِذَا <sup>(٨)</sup>، وَلَنْ تَخْرَلَ لَهَ الْجِبَالَ هَذَا. وَإِنَّمَا طَلَبْتُ التَّقَاعُدَ الْمُبَكَّرَ، لِكَيْ أَكْتُبَ

وَأُفَكِّرُ. فَلَقَدْ صَرَفْتَنِي الْوَضِيفَةَ عَنِ الْكِتَابَةِ، وَشَغَلْتَنِي  
عَنِ الشُّعْرِ وَالْحَطَابَةِ.

وَقُدْوَتِي فِي هَذَا الْحَافِظِ السُّيُوطِيِّ، صَاحِبِ الْعِلْمِ  
الْأَخْطَبِ وَطِي (٩). فَقَدْ اعْتَزَلَ الْوِظَائِفَ وَهُوَ فِي الْأَرْبَعِينَ،  
لِيَتَفَرَّغَ لِلتَّأْلِيفِ وَالتَّدْوِينِ (١٠)، وَأَنَا قَدْ تَأَخَّرْتُ عَنْهُ عَشْرَ  
سِنِينَ. وَلِذَا كَثُرَتْ مُؤَلَّفَاتُهُ حَتَّى جَاوَزَتْ الْأَلْفَ، وَصَارَ  
شَيْخَ الْمُصَنِّفِينَ دُونَ مَا خُلِفَ.

وَأَنَا - بِحَمْدِ اللَّهِ - قَدْ دَرَسْتُ الْأَمْرَ دِرَاسَةَ الْجَلْفَرِيِّزِ (١١)،  
حَتَّى لَا أَنْدَمَ عَلَيْهِ نَدَامَةً (عَزِيزُ) (١٢). وَلَمْ أَتَسَّرِعْ فِيهِ  
كَمَا تَسَّرِعَ (الِهَالِي)، حِينَمَا قَدَّمَ اسْتِيقَالَتَهُ لِصَاحِبِ  
الْمَعَالِي (١٣).

ثُمَّ إِنَّ الْمَوْظَفَ إِذَا لَمْ يَعُدْ لَدَيْهِ جَدِيدٌ، فَاَنْسَحَابُهُ مِنَ  
الْمَيْدَانِ هُوَ عَيْنُ التَّجْدِيدِ. وَعَلَيْهِ أَنْ يَتْرَكَ الْمَجَالَ لِلشَّبَابِ  
الصَّاعِدِ، لِيَصْنَعُوا - بِتَوْفِيقِ اللَّهِ - مُسْتَقْبَلَهُمُ الْوَاعِدِ. فَإِنَّ  
هَذَا هُوَ عَيْنُ الصَّوَابِ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ أَيُّ عَابٍ (١٤).

كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ التَّعْلِيمِ أَنْ يَكُونَ فِي مَدْرَسَةٍ أَوْ  
 جَامِعَةٍ، فَالْقَنَوَاتُ الْمُتَاحَةُ الْيَوْمَ كَثِيرَةٌ وَرَائِعَةٌ. فَهُنَاكَ  
 حَلَقُ الْعِلْمِ فِي الْمَسَاجِدِ، فَهِيَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمَدَارِسِ  
 وَالْمَعَاهِدِ. وَهُنَاكَ الْفَضَاءُ الْمَفْتُوحُ، حَيْثُ يَغْدُو فِيهِ الْمُعَلِّمُ  
 وَيَرُوحُ. وَهُنَاكَ مَحَطَّاتُ الْإِذَاعَةِ وَالتَّلْفَازِ، الَّتِي تُشَجِّعُ عَلَى  
 الْبَذْلِ وَالْإِنْجَازِ. وَهُنَاكَ الْجَامِعَاتُ الْإِلِكْتُرُونِيَّةُ، مُوضَعُ  
 التَّعْلِيمِ الْعَصْرِيَّةِ <sup>(١٥)</sup>. وَهُنَاكَ الْمَوَاقِعُ الشَّنْكَبُوتِيَّةُ، وَمَا فِيهَا  
 مِنْ فَوَائِدَ بِنَكْنُوتِيَّةِ <sup>(١٦)</sup>. وَهُنَاكَ تَأْلِيفُ الْكُتُبِ وَالْأَبْحَاثِ،  
 وَهِيَ أَنْفَعُ شَيْءٍ لِلْكِبَارِ وَالْأَحْدَاثِ، وَأَبْقَى ذُخْرًا لِأَصْحَابِهَا  
 إِذَا حَلُّوا الْأَجْدَاثَ <sup>(١٧)</sup>.

ثُمَّ أَلَمْ تَبْلُغُكُمْ مَقُولَةَ الْأُسْتَاذِ (الْعَقَّادِ) <sup>(١٨)</sup>، ذَلِكَ  
 الْأَدِيبُ النَّقَّادُ، فَلِمَاذَا الْإِنْتِقَادُ؟! كَمَا رَدَّ الْبُحْثِرِيُّ عَلَى  
 مَنْ ذَمَّ الْعُرْزَةَ وَأَمَرَ بِمُصَافَاتِي، فَاقْبَلُوا قَوْلَهُ حَتَّى أَكْفِيَكُمْ  
 حَرْبَ خِلَافَاتِي! <sup>(١٩)</sup>.

فَقَالُوا: دَعْنَا مِنْ هَذَا يَا هَذَا، وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ هَادَى <sup>(٢٠)</sup>.

وَأَخْبِرْنَا هَلْ قُلْتَ فِي هَذَا شَيْئًا، فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهِمْ  
وَحَيًّا، ثُمَّ أَنْشَدَهُمْ مَا كَانَ مِنْ قَبْلُ هَيَّا:

تَحَرَّرْنَا مِنَ الرَّبِّقِ      وَتَمَّ بِرَغْبَتِي عِثْقِي!  
وَنَلْتُ تَقَاعِدِي حُرًّا      وَهَذَا الْأَمْرُ مِنْ حَقِّي  
فِي إِنْ الْكَدَّ مَدْعَاةً      لِكَسْرِ الظَّهْرِ وَالْعُنُقِ  
فَتِيهِي زَوْجَتِي طَرَبًا      وَدُقِّي دُقِّكَ دُقِّي!  
فَقَدْ آنَ لَنَا عَوْدُ      نَجِدُّ لَاهِبَ الشُّوقِ! (٢١)



وَلَيْسَ تَقَاعِدِي عَيْبًا      وَلَيْسَ بِقَاطِعِ رِزْقِي  
فِي إِنْ الرِّزْقَ مَكْفُوفٌ      لِيذِي عَقْلٍ وَذِي حُمِقِ  
وَقَدْ حَصَلْتُ مَا أَرْجُو      مِنْ التَّعْلِيمِ وَالسَّبْقِ  
وَصِرْتُ الْيَوْمَ (أُسْتَاذًا)      يُضِيءُ الْعِلْمُ فِي طُرْقِي



وَلَوْلَا حَبْسُ أَوْلَادِ      لَنَافِي الْبَيْتِ كَالطُّوقِ  
وَأَبْحَاثِ أَحْرَرُهَا      غَدَتِ دُونَ الْوَرَى عِشْقِي

## مَقَامَةُ التَّقَاعِدِ

لَجُبْتُ الْأَرْضَ مُجْتَازًا  
وَمِنْ مِصْرٍ إِلَى يَمَنِ  
إِلَى الْأَنْدَلُسِ الْغَرًّا  
إِلَى الْمَغْرِبِ أَوْ تُونُ  
أَطِيرُ كَحَفَقَةِ الرِّيحِ  
مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ  
وَمِنْ يَمَنِ لِدِيمَشْقِ  
بِلَادِ الْعِلْمِ وَالذُّوقِ  
سَ أَوْ مَا شَطَّ فِي الْأُفُقِ  
وَأَسْبِقُ وَمُضَّةَ الْبَرْقِ!



فَمَا أَحَلَى التَّقَاعِدَا  
فَلَيْسَ يَصُدُّكُمْ عَنْهُ  
فَهَذَا كُلُّهُ يَفْنَى  
فَسِيرُوا فِي مَنَاكِبِهَا  
فَإِنَّ قُعُودَكُمْ يُضْنِي  
رَفَاقَ الرَّفْقِ وَالصِّدْقِ!  
بَرِيقُ الْجَاهِ وَالرَّرِّقِ  
وَلَا يَبْقَى سِوَى الْحَقِّ  
وَحُومُوا حَوْمَةَ الْوُزُقِ  
وَإِنَّ جُلُوسَكُمْ يُشْقِي!



لَقَدْ أَتَمَمْتُ أَبْيَاتِي  
أَتَيْتُ كَالدَّرْمُنْتَظِمَا  
فَأَيْنَ الْبُحْثِيرِي مِنْهَا  
نَفَثْتُ بِهَا مِنَ الْعُمُقِ  
تَرُوقُ لِكُلِّ ذِي ذَوْقِ  
أَوِ السَّيَّابِ أَوْ شَوْقِي!؟

**فَقَالُوا:** لَا فُضَّ فُوكُ، وَلَا مَنْ وَظَّفُوكُ. فَقَدْ شَرُفَتْ بِكَ  
الْوَضِيفَةُ، وَظَفَرَتْ بِكَ الشَّرِيفَةُ. فَتَفَرَّغَ لِأَهْلِكَ وَعِيَالِكَ،  
وَحَافِظٌ عَلَى وَقْتِكَ رَأْسِ مَالِكَ. **فَقَالَ:** مَا تَقَاعَدْتُ إِلَّا حِفْظًا  
لِلْوَقْتِ، فَإِنَّ ضِيَاعَهُ مِنْ أَعْظَمِ الْمَقْتِ. وَإِلَّا فَقَدْ كُنْتُ فِي  
عَمَلِي مُرْتَاحًا، وَلَمْ أَلْقَ فِيهِ كِبْشًا نَطَّاحًا. كَمَا لَمْ تُمَارَسْ  
عَلَيَّ فِيهِ أَيُّ ضُغُوطٍ، وَلَمْ تُفَرِّضْ عَلَيَّ آيَةَ شُرُوطٍ. فَلَمْ  
أَجِدْ يَوْمًا مَا وَجَدَ (رَفِيقُ فَاخُورِي) (٢٢)، كَمَا لَمْ أَلْقَ مَا لَقِيَ  
(الْحَضِرُ بْنُ حُسَيْنٍ) حِينَ أَعْلَنَ مَوْقِفَهُ الْأُسْطُورِي (٢٣).

لَكِنْ قَبْلَ أَنْ تَنْصَرِفُوا، وَتَصَدُّوا عَنِّي وَتَنْحَرِفُوا. أَحِبُّ  
أَنْ أُبَيِّنَ لَكُمْ أَيُّهَا الرَّفَاقُ، أَنَّ التَّقَاعِدَ طَرِيقٌ لِلانْطِلَاقِ، كَمَا  
كَانَ مِنْ قَبْلُ سَبَبًا لِلانْعِتَاقِ. وَبَابٌ مَفْتُوحٌ لِلضَّرْبِ فِي طِلَاعِ  
الْأَرْضِ الْوَاسِعِ، وَسَبِيلٌ لِأَحِبِّ لِلسَّبْحِ فِي فِضَائِهَا الشَّاسِعِ.  
فَلَيْسَ مَعْنَى التَّقَاعِدِ التَّقَاعُوسُ، وَإِنَّمَا هُوَ مَيْدَانٌ لِلْعَمَلِ  
وَالْتَّنَافُسِ. فَكَمْ مِنْ عَامِلٍ كَانَ خَامِلًا مُهْمَشًا، فَلَمَّا تَقَاعَدَ  
انْتَشَى، وَمِنَ الْخَيْرَاتِ احْتَشَى، وَتَصَرَّفَ فِي وَقْتِهِ كَمَا يَشَاءُ.

وَقَدْ نَظَّمْتُ فِي ذَلِكَ قَصِيدَةً أَبْطَلْتُ فِيهَا حُجَجَ الْخُصُومِ،  
 وَقَاوَمْتُ بِمَا أُوتِيتُ مِنْ عَزْمٍ مَا شَنُوهُ مِنْ هُجُومٍ. فَصَوَّرْتُ  
 ذَلِكَ فِي: قَالُوا وَقُلْنَا، وَفِي مَعْمَعَتِهَا صُلْنَا وَجُلْنَا. ثُمَّ أَنْشَدُ،  
 فِي ذَلِكَ الْمَحْشَدُ:

قَالُوا: التَّقَاعِدُ نَكْبَةٌ! قُلْنَا: كَلَامٌ جَائِرٌ  
 قَالُوا: يَنَامُ نَهَارُهُ وَاللَّيْلُ فِيهِ سَاهِرٌ!  
 قُلْنَا: يُحَادِثُ زَوْجَهُ أَوْ ضَيْفَهُ وَيَسَامِرُ  
 أَوْ أَنَّهُ يَقْرَأُ كِتَابًا بِأَفِيهِ عِلْمٌ زَاخِرٌ  
 قَالُوا: يُسَافِرُ دَائِمًا مَعَ صَاحِبِهِ وَيُنْغَادِرُ!  
 قُلْنَا: الْمُسَافِرُ حَائِزٌ (لِلْخَمْسِ) (٢٤)، فَهُوَ الظَّافِرُ  
 قَالُوا: يَرْوِحُ إِلَى الْبَرَاءِ رِي دَائِبًا وَيُغَامِرُ!  
 قُلْنَا: يُمْتَعُ نَاطِرًا فَالْبَرُّ فِيهِ مَنَاطِرُ  
 لَاسِيَّ مَا زَمَنَ الرَّبِيْعُ، وَذَاكَ أَمْرٌ ظَاهِرُ  
 فَهُنَاكَ تَرْتَاحُ النُّهَى حَيْثُ الْجَمَالُ السَّاحِرُ  
 قَالُوا: لَدَيْهِ صَحَائِفٌ وَدَفَاتِرٌ وَمَحَابِرُ  
 مَنُثُورَةٌ فِي بَيْتِهِ قَدْ ضَجَّ مِنْهَا الْعَابِرُ!

نَ فِي الطُّرُوسِ مَشَاعِرُ  
 أَحْدَاثُهَا، وَخَوَاطِرُ  
 فَالشَّعْرُ فِيهِ مَفَاخِرُ  
 فِي الْبَيْتِ وَهُوَ يُحَاضِرُ  
 تَرِ جَالِسًا وَيُحَاوِرُ!  
 (وم) (٢٥) مَنْ هُوَ نَافِرُ!  
 (نَا) (٢٦) وَالْجَمِيعُ يُحَاذِرُ  
 وَهُوَ النَّوْمُ السَّادِرُ!  
 إِذْ كَانَ قَبْلُ يُثَابِرُ  
 فَعَدَا الْعَقَارَ يُعَاقِرُ!  
 - مَا دَخَلَكُمْ؟ - وَيُكَائِرُ  
 لِأَجْلِ ذَاكَ يُتَاجِرُ  
 وَأَنْتَ فِينَا الظَّافِرُ  
 فَالرَّفْقُ شَيْءٌ بَاهِرُ!

قُلْنَا: جَمِيلٌ أَنْ تُدَوَّ  
 أَوْ ذِكْرِيَاتٌ قَدْ مَضَتْ  
 أَوْ أَنْ يُدَوِّنَ شِعْرَهُ  
 قَالُوا: يُضَيِّعُ وَقْتَهُ  
 فَتَرَاهُ عِنْدَ الْكُومْبِيُو  
 قُلْنَا: يُعَلِّمُ عَن طَرِيقِ (الزُّ  
 لَا سِيَّمَا زَمَنَ (الْكُرُو  
 قَالُوا: يُحَصِّلُ رَاتِبًا  
 قُلْنَا: فَذَلِكَ حَقُّهُ  
 قَالُوا: تَحَوَّلَ تَاجِرًا  
 قُلْنَا: يُنَمِّي دَخْلَهُ  
 إِذْ إِنَّ رَاتِبَهُ يَقِلُّ  
 قَالُوا: غُلِبْنَا فِي الْحِجَاجِ  
 فَارْفُقْ بِنَايَا سَيْدِي

قَالَ الرَّاوي: فَأَنْبَرَى مِنْ بَيْنِهِمْ شَابٌ حَدِيثُ السَّنِّ،  
تَخَالَهُ مِنَ الْجِنِّ وَلَيْسَ مِنَ الْجِنِّ. فَقَالَ: عَفْوًا يَا أَبَا الْفَضْلِ،  
وَصَاحِبَ الْكَلَامِ الْهَضْلِ (٢٧). كَيْفَ تَرُدُّ عَلَيَّ مَنْ إِذَا رَأَوْا  
الْمُتَّقَاعِدَ، قَالُوا: مُتَّ قَاعِدًا. فَعَضِبَ أَبُو الْفَضْلِ مِنْ هَذِهِ  
الْعِبَارَةِ وَزَمَجَرَ، حَتَّى حَسِبْنَا أَنَّهُ سَيَرَأُزُ. ثُمَّ بَادَرَهُمْ بِلَا  
رَيْثَ، وَقَدْ تَوَثَّبَ تَوَثَّبَ اللَّيْثُ:

يَا مَنْ يَقُولُ لِمَنْ تَقَاعَدَ حَاسِدًا:

مُتَّ قَاعِدًا إِنْ شِئْتَ، أَوْ مُتَّ رَاقِدًا (٢٨)

فَلَقَدْ رَجَعْتَ إِلَى الْوَرَاءِ مَسَافَةً

وَالنَّفْعُ فَيْكَ لَقَدْ غَدَا مُتَبَاعِدًا!

فَأَقُولُ: كَلَّا، ذَاكَ قَوْلٌ مُعَانِدٍ

وَمِنَ الصُّعُوبَةِ أَنْ تَرُدَّ مُعَانِدًا

إِنَّ اللَّيْبَ إِذَا تَقَادَمَ عُمُرُهُ

أَضْحَى بِخِبْرَتِهِ الطَّوِيلَةِ رَائِدًا

تَسَابِقُ الشَّرِكَاتُ لِاسْتِقْطَابِهِ  
 وَيَكُونُ فِيهَا بِالْجِدَارَةِ قَائِدًا  
 وَيَحُوزُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ مِنَ الْعَطَا  
 وَتَحُوزُ مِنْ جَرَّاهُ فَخْرًا زَائِدًا  
 وَانْظُرْ إِلَى الْعُظَمَاءِ كَيْفَ تَصَدَّرُوا  
 وَجَنُوا جَوَائِزَ جَمَّةً وَقَلَائِدًا  
 هَلْ كَانَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَتَقَاعَدُوا  
 فِي غَالِبٍ، فَانْهَمُ مَقَالِي رَاشِدًا  
 وَاحْذَرُ مِنَ الْحَسَدِ الَّذِي هُوَ آفَةٌ  
 وَعَنِ الصَّوَابِ هُدَيْتَ لَاتِكُ حَائِدًا!  
 فَأَيُّقِنَ الْقَوْمُ عِنْدَ ذَلِكَ بِصَوَابِ قَرَارِهِ، وَغَبَطُوهُ عَلَى مُكُوْتِهِ  
 فِي بَيْتِهِ وَقَرَارِهِ. غَيْرَ أَنَّهُمْ قَالُوا وَقَدْ أَرَمَعُوا عَلَى الْإِنْصِرَافِ،  
 بَعْدَ أَنْ اسْتَمْتَعُوا بِمَا سَمِعُوا مِنْ جَمَلٍ وَقَوَافٍ. نَرْجُو

أَلَّا تَشْتَغِلَ بِغَيْرِ التَّأْلِيفِ، وَلَا تُبَدِّدَ وَقْتَكَ فِي غَيْرِ التَّصْنِيفِ.  
فَإِنَّ كِتَابَ الْإِنْسَانِ وَلَدُهُ الْمُخَلَّدُ (٢٩)، وَصَرْحُهُ الْمُمَرَّدُ.  
لَكِنْ لَا تَكْتُبْ إِلَّا فِيمَا لَمْ يُكْتَبْ فِيهِ، وَاحْذَرْ كُلَّ الْحَذَرِ  
مِنَ التَّكْرَارِ وَالتَّمْوِيهِ. فَإِنَّ أَكْثَرَ الْمُؤَلَّفَاتِ الْيَوْمَ لَيْسَ فِيهَا  
إِبْدَاعٌ، وَلِذَا خَلَّتْ مِنَ الْإِفَادَةِ وَالْإِمْتَاعِ.

ثُمَّ مَا لَبِثُوا أَنْ أَنْصَرَفُوا وَقَدْ مَالَتِ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ،  
وَافْتَرَقُوا بَعْدَ أَنْ تَفَرَّقَتْ بِهِمُ الدُّرُوبُ.



تَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ

## الحواشي

(١) قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ:

كَمْ مِنْ مُضَيِّعٍ فُرْصَةً قَدْ أَمَكَّنَتْ  
لِغَدٍ وَلَيْسَ غَدْلَهُ بِمُؤَاتٍ  
حَتَّى إِذَا فَاتَتْ وَفَاتَ طِلَابُهَا  
ذَهَبَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ حَسَرَاتٍ!

اللطائف والظرائف للثعالبي - دار المناهل، ط ١ - (ص: ١٢٤).

- وَقَالَ عَبْدُ الْغَفَّارِ الْأَخْرَسُ (ت ١٢٩٠ هـ) فِي دِيْوَانِهِ (ص: ٥٦٥):

وَأَنْتَهَزَهَا فُرْصَةً قَدْ أَمَكَّنَتْ  
فَاغْتَنِمَهَا، وَأَتَّخِذْهَا مَغْنَمًا  
وَأَنْتَهَبَهَا لَذَّةً إِنْ تَنْقُضِي  
يَا نَيْدِيْمِي أَعْقَبَتِكَ النَّدْمَا!

(٢) قَالَ أَبُو بَكْرِ الْأَنْبَارِيُّ: "الأصل في تَبَشَّشٍ: تَبَشَّشٌ. فاستثقلوا الجمع

بين ثلاثِ شِينَاتٍ، فأبدلوا من الثانيةِ بَاءً. وهو مأخوذٌ من البشاشةِ،  
وهي الانبساطُ والسُرورُ". الزاهر في معاني كلمات الناس - مؤسسة  
الرسالة، ط ١ - (١ / ٢٢٦).

(٣) جاء في كتاب "أضواء على لغتنا السَّميحة" لمحمد خليفة التونسي

(ص: ١٤٦): "في الفصيحة: نَعَشَهُ اللهُ وَنَعَّشَهُ: جَبَرَهُ بَعْدَ فَقْرٍ،  
وَأَنْتَعَشَتْ حَالُهُ: حَسُنَتْ وَطَابَتْ، وَنَقُولُ: هَوَاءٌ أَوْ شَرَابٌ مُنْعَشٌ،  
أَيُّ سَارٌّ، يُحَدِّثُ فِي النَّفْسِ خِفَّةً وَرَاحَةً.

ونقول في الدَّارِجَةِ: شَرَابٌ أَوْ هَوَاءٌ "مُنْعِنِشٌ" بِالمَعْنَى نَفْسِهِ،  
وَنَعْنَشِنِي: أَي أَنْعَشَنِي وَحَسَّنَ حَالِي، فَالمَعْنَى وَاحِدٌ.

(٤) **الهاجس**: هو أول مراتب القصد لفعل الشيء، وقد نظمهم بعضهم **بقوله**:  
مَرَاتِبُ الْقَصْدِ خَمْسٌ: هَاجِسٌ ذَكَرُوا،

فَخَاطِرٌ، فَحَدِيثُ النَّفْسِ، فَاسْتَمَعَا  
يَلِيهِ هَمٌّ، فَعَزْمٌ، كُلُّهَا رُفِعَتْ  
سِوَى الْأَخِيرِ فِيهِ الْأَخْذُ قَدْ وَقَعَا

**انظر**: تحفة الحبيب على شرح الخطيب للبجيرمي - دار الفكر،  
١٤١٥ هـ - (٤ / ٤٣١)، وروح المعاني للألوسي - دار إحياء  
التراث العربي، ط ١ - (٢ / ٦٤).

(٥) **النَّضْلُ**: هو الهُزَالُ والإِعْيَاءُ. **يُقَالُ**: نَضَلَ البَعِيرُ والرَّجُلُ نَضَالًا هُزِلَ  
وَأَعْيَا. لسان العرب - دار صادر، ط ٣ - (١١ / ٦٦٦).

(٦) **العَضَلُ**: هو ضَرْبُ العَضَلَةِ. **يُقَالُ**: عَضَلَ فُلَانًا عَضَالًا إِذَا ضَرَبَ  
عَضَلَتَهُ. المعجم الوسيط - مكتبة الشروق الدولية، ط ٤ -  
(ص: ٦٠٧).

(٧) **القَالَةُ**: اسْمٌ لِلْقَوْلِ الفَاشِي فِي النَّاسِ، خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا. المعجم  
الوسيط (٢ / ٧٦٧).

(٨) **الإِدُّ**: العَجَبُ، والأَمْرُ الدَّاهِي الفَطِيحُ المُنْكَرُ. القاموس المحيط  
للفيروزبادي - مؤسسة الرسالة، ط ٨ - (ص: ٢٦٥)، والمعجم  
الوسيط (ص: ١٠).

(٩) لِكثَرَةِ مَعَارِفِهِ وَعُلُومِهِ وَفُنُونِهِ وَتَشَعُّبِهَا كَمَا سَيَأْتِي فِي الْحَاشِيَةِ التَّالِيَةِ.

(١٠) **وُلِدَ** السُّيُوطِيُّ بَيْنَ الْكُتُبِ وَنَشَأَ بَيْنَهَا؛ وَلِذَا لُقِّبَ بِابْنِ الْكُتُبِ! وَفِي

هَذَا يَقُولُ مُحَمَّدُ الْعَاقِبُ الْجَكْنِيُّ الشَّنْقِيطِيُّ فِي "نَظْمِ كَشْفِ الْعَمَى وَالرَّيْنِ، عَنِ نَازِرِيِّ مَصْحَفِ ذِي النُّورَيْنِ" (ص: ٣١):

**وَنَقُطُ (يُنْفِقُ) انْتِهَاءً مَا كُتِبَ**

**كَمَا نُمِي إِلَى السُّيُوطِيِّ ابْنِ الْكُتُبِ!**

وَقَدْ تَرَكَ لَهُ أَبُوهُ مَكْتَبَةً زَاخِرَةً بِالمَصْنَفَاتِ، كَمَا كَانَ يَتَرَدَّدُ مِنْذُ صِغَرِهِ عَلَى مَكْتَبَةِ المَدْرَسَةِ المَحْمُودِيَّةِ، وَفِيهَا كَتَبَ كَثِيرَةً جَدًّا كَمَا قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ الَّذِي صَنَعَ لَهَا فَهْرَسَاءً، وَكَذَا فَعَلَ السُّيُوطِيُّ وَسَمَّاهُ "بِذَلِ المَجْهُودِ فِي خِزَانَةِ مَحْمُودٍ".

**بَدَأَ** السُّيُوطِيُّ التَّالِيفَ وَالتَّصْنِيفَ فِي سَنِّ مُبَكَّرَةٍ عَامَ (٨٦٦ هـ) وَهُوَ لَمْ يَتَجَاوِزِ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ! وَأَوَّلُ كِتَابِ أَلْفِهِ: "رِيَاضُ الطَّالِبِينَ فِي شَرْحِ الِاسْتِعَاذَةِ وَالبِسْمَلَةِ". **قَالَ:** "شَرَعْتُ فِي التَّصْنِيفِ سَنَةَ سِتِّ وَسِتِّينَ، وَبَلَغْتُ مَوْلَفَاتِي إِلَى الْآنَ ثَلَاثَ مِئَةِ كِتَابٍ! سِوَى مَا غَسَلْتُهُ وَرَجَعْتُ عَنْهُ".

**تَوَلَّى** السُّيُوطِيُّ عِدَّةً مِنَ الوِظَائِفِ فِي التَّدْرِيسِ وَالإِفْتَاءِ وَالإِمْلَاءِ حَتَّى بَلَغَ عُمُرَهُ الأَرْبَعِينَ، ثُمَّ إِنَّهُ انْقَطَعَ عَنِ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَاعْتَذَرَ عَنْهُ، وَأَلَّفَ كِتَابَيْنِ فِي ذَلِكَ، هُمَا: "المَقَامَةُ اللُّؤْلُؤِيَّةُ فِي الِاعْتِدَارِ عَنِ الإِفْتَاءِ وَالتَّدْرِيسِ"، وَهِيَ مَطْبُوعَةٌ، وَ"التَّنْفِيسُ، فِي الِاعْتِدَارِ عَنِ تَرْكِ الإِفْتَاءِ وَالتَّدْرِيسِ". وَاسْتَمَرَ فِي عَزْلَتِهِ الفِكْرِيَّةِ وَالعِلْمِيَّةِ حَتَّى

وافاهُ الأجلُ عامَ (٩١١ هـ).

**قال تلميذه الشمسُ الداودي:** "لَمَّا بلغَ أربعينَ سنةً من عُمره أخذَ في التجرُّدِ للعبادة والانقطاعِ إلى الله تعالى، والاشتغالِ به صِرْفًا، والإعراضِ عن الدنيا وأهلها كأنه لم يعرف أحدًا منهم، وشرَعَ في تحرير مؤلفاته، وترك الإفتاء والتدريس، واعتذر عن ذلك في مؤلَّف ألفه في ذلك وسماه بـ "التنفيس"، وأقام في روضة المقياس فلم يتحوَّل منها إلى أن مات، لم يفتح طاقاتِ بيته التي على النيل من سكناه".

**وقد صنَّف** السيوطيُّ في كلِّ علمٍ وفنٍّ - عدا الحساب والمنطق -، وسبق غيره إلى التصنيفِ في مواضيع لم يُسبق إليها! حتى بلغ عددُ مصنَّفاتِه كما في كتاب "دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها": (٩٨١) مصنَّفًا!!

وذكر الأستاذُ/ إياد خالد الطباع في كتابه "الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي معلِّمة العلوم الإسلامية" - دار القلم، ط ١ - (ص: ٣١٢) أنه تبين له بعد الحصر أن للسيوطيَّ (١١٩٤) عنوانًا!! **وكانَ سريعَ الكتابةِ، حاضرَ البديهةِ في التأليفِ.**

**قال النجمُ الغزِّي:** "كان في سرعة الكتابة والتأليف آيةً كُبرى من آيات الله تعالى".

**وقال الشمسُ الداودي:** "عاينتُ الشيخَ، وقد كتب في يومٍ واحدٍ ثلاثةَ كراريس تأليفًا وتحريراً، وكان مع ذلك يُملِّي الحديثَ،

وَيُجِيبُ عَنِ الْمُتَعَارِضِ مِنْهُ بِأَجْوِبَةٍ حَسَنَةٍ!".  
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُ انْتَهَى مِنْ كِتَابِ "لُبِّ الْأَلْبَابِ فِي تَحْرِيرِ الْأَنْسَابِ"  
 الْمَطْبُوعِ فِي مَجْلَدَيْنِ - وَهُوَ اخْتِصَارٌ لِكِتَابِ "اللُّبَابِ" لِعَزِّ الدِّينِ بْنِ  
 الْأَثِيرِ - فِي عَشْرَةِ أَيَّامٍ! وَكَانَ يَنْظُمُ الْأَلْفِيَّةَ فِي خَمْسَةِ أَيَّامٍ فَأَقْلَّ!!  
**كَمَا كَانَ** سَرِيعَ الْغَضَبِ؛ حَيْثُ تَكَلَّفَهُ الْغَضْبَةُ الْوَاحِدَةَ تَأْلِيفَ رِسَالَةٍ  
 أَوْ أَكْثَرَ يَكْتُبُهَا فِي يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ! يَرُدُّهَا عَلَى خُصْمِهِ. وَفِي ذَلِكَ **يَقُولُ**:  
 "خَالَفَنِي أَهْلُ عَصْرِي فِي خَمْسِينَ مَسْأَلَةً، فَأَلَّفْتُ فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ  
 مَوْلَفًا بَيَّنْتُ فِيهِ وَجْهَ الْحَقِّ".

**أَضْفُ إِلَى ذَلِكَ** أَنَّ تَبَحُّرَهُ فِي الْعُلُومِ كَانَ سَبَبًا لِسَهُولَةِ التَّصْنِيفِ  
 عَلَيْهِ، فَقَدْ **قَالَ عَنْ نَفْسِهِ**: "رُزِقْتُ التَّبَحُّرَ فِي سَبْعَةِ عُلُومٍ: التَّفْسِيرِ،  
 وَالحَدِيثِ، وَالفِقْهِ، وَالنَّحْوِ، وَالمَعَانِي، وَالبَيَانِ، وَالبَدِيعِ، عَلَى  
 طَرِيقَةِ الْعَرَبِ وَالبُلْغَاءِ، لَا عَلَى طَرِيقَةِ الْعَجَمِ وَأَهْلِ الفَلَسْفَةِ. وَالَّذِي  
 أَعْتَقَدُهُ أَنَّ الَّذِي وَصَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْعُلُومِ السَّبْعَةِ - سِوَى الفِقْهِ  
 - وَالنَّقُولِ الَّتِي أَطَّلَعْتُ عَلَيْهَا فِيهَا، لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ وَلَا وَقَفَ عَلَيْهِ  
 أَحَدٌ مِنْ أَشْيَاخِي، فَضِلًّا عَمَّنْ هُوَ دُونَهُمْ. وَأَمَّا الفِقْهُ فَلَا أَقُولُ ذَلِكَ  
 فِيهِ، بَلْ شَيْخِي فِيهِ (عَلَّمَ الدِّينَ البُلْقَيْنِي) أَوْسَعُ نَظْرًا وَأَطْوَلُ بَاعًا.  
 وَدُونَ هَذِهِ السَّبْعَةِ فِي المَعْرِفَةِ: أَصُولُ الفِقْهِ، وَالجَدَلِ، وَالتَّصْرِيفِ.  
 وَدُونَهَا: الإِنْشَاءُ، وَالتَّرْسُلُ، وَالفَرَايِضُ. وَدُونَهَا: القِرَاءَاتُ وَلَمْ  
 أَخْذَهَا عَنْ شَيْخٍ. وَدُونَهَا: الطِّبُّ. وَأَمَّا عِلْمُ الحِسَابِ فَهُوَ أَعْسَرُ  
 شَيْءٍ عَلَيَّ وَأَبْعَدُهُ عَنِ ذَهْنِي!".

**وقال أيضًا:** "ليس على وجه الأرض من مشرقها إلى مغربها أعلم بالحديث والعربية مني".

**وقال أيضًا:** "كملت عندي الآن آلات الاجتهاد بحمد الله تعالى، أقول ذلك تحدثًا بنعمة الله لا فخرًا، وأيُّ شيءٍ في الدنيا حتى يُطلبُ تحصيلُها في الفخر، وقد أزفَ الرحيلُ، وبدا الشيبُ، وذهبَ أطيْبُ العُمُرِ؟! ولو شئتُ أن أكتبَ في كلِّ مسألةٍ مُصنَّفًا بأقوالها وأدلَّتْها النقليَّةَ والقياسيَّةَ ومداركها ونُقُوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها، لَقَدِرْتُ على ذلك من فضل الله لا بحولي ولا بقوَّتي، فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله".

**وقال أيضًا:** "أمَّا الاجتهادُ فقد بلغتُ - والله الحمدُ والمِنَّةُ - رُتبةَ الاجتهاد المطلق في الأحكام الشرعية، وفي الحديث النبوي، وفي العربية. ورُتبةُ الاجتهاد في هذه الأمور الثلاثة كانت مُجمعةً في الشيخ تقيِّ الدين السبكي، ولم تَجتمع في أحدٍ بعده".

**انظر:** حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة - دار إحياء الكتب العربية، ط ١ - (١/ ٣٣٧)، والتحدُّث بنعمة الله تعالى - المطبعة العربية الحديثة، ط ١ - (ص: ٢٠٣) كلاهما للسيوطي، والكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة للغزّي - دار الفكر، ط ١ - (١/ ٢٢٦). وجلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي لطاهر سليمان حمّوده - المكتب الإسلامي، ط ١ - (ص: ١٤٣)، وكتاب دليل مخطوطات السيوطي وأماكن

وجودها لأحمد الخازندار ومحمد الشيباني - مكتبة ابن تيمية، ط ١ -، والمكثرون من التصنيف في القديم والحديث لمحمد خير رمضان يوسف - دار ابن حزم، ط ١ - (ص: ٤٨).

(١١) **الْجَلْفَرِيْزُ**: الداهية. القاموس المحيط للفيروزبادي (ص: ٥٠٦).

(١٢) هو الأديب السعودي / عزيز ضياء (ت ١٤١٨ هـ) - حيث كان كثير

الاستقالة من وظائفه الحكومية! - فقد **قال** في مقال كتبه في مجلة الإمامة، العدد (١٠٩٨) بتاريخ ٢٤ / ٨ / ١٤١٠ هـ: "قد أكشفُ

بهذه المناسبة عن خطأ ظلتُ أقرُّفه وأقعُ فيه طوَال مدةِ خدمتي في الدولة، وهو اللجوءُ إلى الاستقالة في اللحظة التي أشعرُ فيها أنَّ

العملَ أو ظروفه أصبحت لا تتواءمُ مع طموحي وكرامتي". **انظر:**

"عزيز ضياء حياته وآثاره وما كُتب عنه" لأحمد بن علي الأخشمي

(ص / ٢٢)، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، السلسلة الثالثة،

رقم (٦٠).

(١٣) لما استدعي العلامة المغربي الدكتور / محمد تقي الدين الهلالي

(ت ١٤٠٧ هـ) لتدريس القرآن والحديث في دار الحديث الحسنية

المغربية أول ما أنشئت، بطلب من معالي وزير الأوقاف آنذاك

الأستاذ / أحمد برقاش، وافق الشيخ على ذلك مسرورًا، **وقال:**

بدأتُ في إلقاء الدروس على الطلبة، وكان عددهم في أول الأمر

ثلاثين طالبًا، وفرح الطلبة بتلك الدروس وأقبلوا عليها، إلا أربعة

كانوا طُرقيين تجائنين؛ فإنهم كرهوا دروسي وأخذوا يُشاغبون

ويُكثرون من الأسئلة التَّعْنِيَّةِ وأنا أدفعُهم بالتي هي أحسن .....  
وفي ذات يوم كنت أفسر قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾  
فبيَّنتُ أنَّ كلَّ مَنْ دعا غيرَ الله أو استغاث به لجلب نفع أو دفع ضررٍ  
فقد وقع في الشرك الأكبر الذي لا يُغفر، فضجَّ التجانيون **وقالوا:**  
كفَّرت أسلافنا!! **فقلتُ:** إن كان أسلافكم يدعون إلى الشرك بالله  
فأبعدهم الله! وأخرجتُ أحدهم من الدروس.

ولم يكن معالي الوزير موجوداً في الرِّباط بل كان مسافراً، وعميدُ  
الكلية كان مُتصوِّفاً خرافياً يزعم أنَّ الأولياء إذا وصلوا درجة الفناء  
تسقطُ عنهم التكاليف!! ويباح لهم ارتكابُ الكبائر كلها!! فصمَّمتُ  
على ترك التدريس وكتبتُ استقالتي إلى معالي الوزير، وأُعرِفُ أنَّ  
ذلك كان تسرعاً مني، وكان ينبغي لي أن أنتظر أوبته، ولكنَّ المقدر  
كائنٌ.... فلما رجع معالي الوزير تأسَّف على ذلك وقبِلَ استقالتي.  
وكانت مدةُ تدريسي في دار الحديث الحسنية شهرين ونصفاً.  
الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة (ص: ٢١٢) بتصرف.

(١٤) **العَابُ:** الوَصْمَةُ. جمعُ أَعْيَابٍ وَعُيُوبٍ. المعجم الوسيط (٢/٦٣٩).

(١٥) **المُؤَصِّة:** كلمةٌ دارجةٌ، تُطلقُ على الزِيِّ، والعادة السائدة،  
والذوق العام، والنمط الذي يُولَع به الإنسانُ مُدَّةً ثم يزول. **انظر:**  
معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور/ أحمد مختار عمر - عالم  
الكتب، ط ١ - (٣/ ٢١٣٩).

(١٦) **الشَّنْكَبُوتِيَّةُ**: نَحْتُ من كَلِمَتِي: الشبكة العنكبوتية، المعروفة بـ (الإنترنت).

**والبَنَكْنُوتِيَّةُ**: نسبةٌ للبنكُوت، وهي: الأوراق النقدية المتداولة، كالريال والدولار ونحوها. والمعنى: أن الفوائد التي في الشبكة تساوي قدرها من المال، كما أنها سبيلٌ لتحصيله لمن أحسن استغلالها.

(١٧) **الأجداثُ**: هي القبورُ.

(١٨) كتب الأديبُ المصريُّ المشهورُ/ عباس محمود العقّاد (ت ١٣٨٣هـ) بعد أن استقال من الوظيفة مقالاً صحفياً عام (١٩٠٧م) بعنوان "الاستخدامُ رِقُّ القرنِ العشرين" جاء فيه **قوله**: "من السوابق التي أعتبْتُ بها أنني كنتُ فيما أُرَجِّحُ أولَ موظفٍ مصريٍّ استقالَ من وظيفةٍ حكوميةٍ بمحض اختياره، يومَ كانت الاستقالةُ من الوظيفة والانتحارُ في طبقةٍ واحدةٍ من الغرابة وخطَلِ الرأي عند الأكثرين!!

ولا أنسى حتى اليوم أنني تلقيتُ خبرَ قبولي في الوظيفة الأولى التي أكرهتني الظروفُ على طلبها، كأني أتلقى خبرَ الحكم بالسجن، أو الأسر والعبودية... إذ كنتُ أو من كلِّ الإيمان بأنَّ الموظفَ رقيقُ القرنِ العشرين!!

**وانظر**: مقالاً جيداً عن حقيقةِ الوظيفةِ والموظفين وواجبهم تجاه أمتهم. للأستاذ/ علي الطنطاوي **رَحِمَهُ اللهُ**. في مجلة الرسالة، العدد: (١١١) بتاريخ ١٩/٨/١٩٣٥ م.

(١٩) قال أبو عبادة البُحترِيُّ (ت ٢٨٤ هـ):

عَجِبَ النَّاسُ لِاعْتِزَالِي وَفِي الْأَطْ  
وَجُلُوسِي عَنِ التَّصَرُّفِ، وَالْأَزْ  
لَيْسَ عَنِ ثُرْوَةٍ بَلَّغْتُ مَدَاهَا  
صَافٍ أَمْثَالَ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ  
أَرْيَحِي، إِمَّا يُوَافِقُ مَا تَهْ  
رَافٍ تُغْشَى مَنَازِلُ الْأَشْرَافِ  
ضُ لِمِثْلِي رَحِيَّةُ الْأَكْنَافِ  
غَيْرَ أَنِّي أَمْرٌ كَفَانِي كَفَانِي  
تَعْتَرِفُ فَضْلَهُ عَلَيَّ مَنْ تُصَافِي!  
مَوَى، وَإِمَّا يَكْفِيكَ حَرْبَ الْخِلَافِ!

ديوان البُحترِي - دار بيروت، ١٤٠٠ هـ - (١/٤١٥).

(٢٠) مأخوذٌ من الهدِيان، وهو التكلُّم بغير المعقولِ لمرضٍ أو غيره.  
المعجم الوسيط (ص: ٩٧٩).

(٢١) قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا:  
"إِنَّ لَجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لَعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْقِكَ  
عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْقِكَ عَلَيْكَ حَقًّا". أخرجه البخاري في صحيحه  
(١٩٧٥)، ومسلم في صحيحه (١١٥٩) واللفظُ للأول.

(٢٢) كان الشاعرُ رفيق عبد اللطيف فاخوري (ت ١٤٠٦ هـ) يكره  
الشعرَ الحُرَّ أَيَّمَا كُرِّه، بل قال مرةً لأحد زملائه: "سأقدم استقالتِي  
من الوظيفة وأطلب إحالتي على التقاعد بسبب هذا الشعر الحُرِّ  
الذي تُجبرنا المناهجُ الرسميةُ على تدريسه". تتمة الأعلام لمحمد  
خير رمضان يوسف - دار الوفاق، ط ٤ - (٣/٢٤٥).

(٢٣) كان شيخُ الأزهرِ الإمامُ/ محمد الخَضِرُ حُسين (ت ١٣٧٧ هـ)  
رَحِمَهُ اللهُ مُذْ تَقَلَّدَ مَشِيخَةَ الأزهر وهو يحتفظ في جيبه باستقالة

محرّرة! ونسخةٌ منها يحتفظ بها مديرُ مكتبه، **وقال له:** "إذا أحسست بضعفي في موقفٍ من المواقف، فقدم استقالتي نيابةً عني!".  
**وكان يقول:** "إنَّ الأزهرَ أمانةٌ في عنقي، أسلمها حين أسلمها، موفورةً كاملةً، وإذا لم يتأتَّ أن يحصل للأزهر مزيدٌ من الازدهار على يدي، فلا أقلُّ من ألا يحصل له نقصٌ".

**وقد حصل** ما كان يتوقَّعه، فبعد اختياره شيخاً للأزهر، زاره اللواء/ محمد نجيب رئيس مصر للتهنئة، وبعد مدةٍ زاره السيد/ حسن الشافعي عضو قيادة الثورة، وأخبره أن اللواء نجيب استدعيه للتشاور في بعض المسائل! فغضب الإمام - وقلما يغضب - وأخرج ورقةً من دُرج مكتبه، وكتب عليها استقالته، **وقال** للسيد الشافعي: "قل لسيادة الرئيس: إنَّ شيخَ الأزهر لا ينتقل إلى الحاكم!".  
**وقال** بعد أن استقال من مشيخة الأزهر: "إنَّ كانت جنةً، فقد دخلتها، وإنَّ كانت ناراً، فقد خرجتُ منها!!". موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين - دار النوادر، ط ١ - (٣٣ / ١).

(٢٤) إشارةٌ إلى قول ابن وكيع التنيسي:

تَغَرَّبَ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَى  
 وَسَافِرٌ فِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ  
 تَفَرُّجُ هَمٍّ، وَاكْتِسَابُ مَعِيشَةٍ،  
 وَفَضْلٌ، وَآدَابٌ، وَصُحْبَةُ مَاجِدِ  
 فَإِنْ قِيلَ: فِي الْأَسْفَارِ ذُلٌّ، وَغُرْبَةٌ،  
 وَتَشْتِيتُ شَمْلٍ، وَارْتِكَابُ شَدَائِدِ

فَللْمَوْتِ خَيْرٌ لِّلْفَتَى مِنْ مَقَامِهِ

بِدَارِ هُوَانٍ بَيْنَ وَاشٍ وَحَاسِدٍ!

قال الثعالبي: "هو أحسنُ ما قيلَ في مدحِ السِّفْرِ".

انظر: يتيمة الدهر للثعالبي - دار الكتب العلمية، ط ١ - (٥ / ٤٠)،  
والدرّ الفريد وبيت القصيد للمستعصي - دار الكتب العلمية،  
ط ١ - (٥ / ٣٩٠)، والسلوك في طبقات العلماء والملوك للجندي  
- مكتبة الإرشاد، ط ٢ - (١ / ١٥٣).

وتُنسب الأبياتُ أيضًا إلى عليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وإلى لإمامِ  
الشافعي رَحِمَهُ اللهُ.

(٢٥) الزوم (zoom): خدمةٌ تُوفِّر الاتصالَ الهاتفيَّ عبر الفيديو،  
والدردشة عبر الإنترنت، من خلال منصّة برمجية، بتقنية النِدِّ للنِدِّ  
المعتمدة على السحابة.

وتُستخدم عادةً في المؤتمرات، والاجتماعات، والتعليم، والعلاقات  
الاجتماعية. وكل ذلك عن بُعد.

وهي تتبع شركة أمريكية تنشط في كاليفورنيا، تأسست عام (٢٠١١م).  
ويكيبيديا = الموسوعة الحرة.

(٢٦) كُورُونَا: يُشتقُّ اسمُ "coronavirus" - الذي يُسمَّى عربيًّا:

فيروس كُورُونَا - من الكلمة اللاتينية (corona)، وتعني التاج  
أو الهالة.

وهي مجموعةٌ من الفيروسات المُغلَّفة مع جينومٍ حمضٍ نوويٍّ

مُفرد السلسلة مُوجب الاتجاه.  
وَتُسبَّبُ كورونا أمراضًا للثدييات والطيور. كما تُسبَّبُ للبشر  
عدوى في الجهاز التنفسي تتضمن الزكام وارتفاع درجة الحرارة.  
وعادةً ما تكون طفيفةً، وربما تكون قاتلةً؛ مثل المتلازمة التنفسية  
الحادة الوحيدة، ومتلازمة الشرق الأوسط التنفسية، وفيروس  
كورونا الجديد (كوفيد ١٩). ويكيبيديا = الموسوعة الحرّة.

(٢٧) الهَضْلُ: الكثير.

(٢٨) مِنْ لَطِيفِ شَعْرِ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ قَوْلُهُ فِي "اللزوميات (١/ ٣٥٧):

لَا تَدْنُونَ مِنَ الشُّرُورِ وَأَهْلِهَا  
فَتَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْعُلَى مُتَبَاعِدًا  
فَالْمَرْءُ يَقْعُدُ بِالْمَكَارِمِ قَائِمًا  
وَيَقُومُ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي قَاعِدًا!

(٢٩) قَالَ ابْنُ الْجُوزِيِّ: "إِذَا عَلِمَ الْإِنْسَانُ - وَإِنْ بَالِغٌ فِي الْجِدِّ - بَأَنَّ

الموتَ يَقْطَعُهُ عَنِ الْعَمَلِ؛ عَمَلٌ فِي حَيَاتِهِ مَا يَدُومُ لَهُ أَجْرُهُ بَعْدَ  
مَوْتِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ: أَنْ يُصَنَّفَ كِتَابًا فِي الْعِلْمِ؛ فَإِنَّ تَصْنِيفَ الْعَالِمِ  
وَلَدَّهُ الْمُخَلَّدَ". صيد الخاطر - دار ابن خزيمة، ط ١ - (ص: ٥٣)  
بتصرف.

- وفي هذا المعنى يقول أبو الفتح البُستي:

يَقُولُونَ: ذِكْرُ الْمَرْءِ يَبْقَى بِنَسْلِهِ  
وَلَيْسَ لَهُ ذِكْرٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَسْلٌ

فَقُلْتُ لَهُمْ: نَسَلِي بَدَائِعُ حِكْمَتِي

فَمَنْ سَرَّهُ نَسَلٌ فَإِنَّا بِذَا نَسَلُوا!

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي - دار  
المعارف ط ١ - (٢٨٠ / ٢).

- وكان الزمخشريُّ يُعَدُّ مصنِّفاته التي صنَّفها - وهي تزيد عن  
الخمسين - أبناءه، بل جعلها أبرَّ به من الأبناء! ولذا لم يتزوج إلا  
في آخر حياته! وفي ذلك يقول:

بَنِيَّ - فَأَعْلَمَ - بَنَاتُ فِكْرِي  
أَبْنَاءُ صِدْقٍ لَهُمْ نَفُوسُ  
حُمَاهُ عِرْضِي مُحَصَّنُوهُ  
بِرُّ صَرِيحٍ بِلا عُقُوقِ  
مَا نَسَلُ قَلْبِي كَنَسَلِ صُلْبِي  
كَمْ بَيْنَ ذِي مَسَلِكٍ طُهُورِ  
مَنْ سَاسَ أَبْنَاءَهُ فَإِنَّا  
حَصَانُهُمْ أُمَّهُ الدَّرَاسَةُ!  
وَصِنْفَنَ بِالْفَضْلِ وَالنَّفَاسَةَ  
فِي كَنْفِ الصَّوْنِ وَالْحِرَاسَةَ  
خُلِقَ صَاحِحٌ بِلا شَكَاسَةَ!  
مَنْ قَاسَ رُدَّ لَهُ قِيَاسَةَ!  
وَسَالِكٍ مَسَلِكِ الخَسَاسَةَ  
لَهُوْلَاءِ البَنِينَ سَاسَةَ!

وقال أيضًا:

وَحَسْبِي تَصَانِيْفِي وَحَسْبِي رُوَاتُهَا  
بَنِينَ بِهِمْ سَيَقَتْ إِلَيَّ مَطَالِبِي  
إِذَا الأبُّ لَمْ يَأْمَنُ مِنْ ابْنِ عُقُوقِهِ  
وَلَا أَنْ يَعُقَّ الابْنُ بَعْضَ الأبَائِبِ!  
فَإِنِّي مِنْهُمْ آمِنٌ وَعَلَيْهِمْ  
وَأَعْقَابُهُمْ أَرْجُوهُمْ لِلنَّوَائِبِ!

**انظر:** مقدمة كتابه ربيع الأبرار - مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ط ٢ - (٢٦/١).

- **وقال** الأديب الأندلسي صفوان بن إدريس المرسي: "لولا أن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْنُتُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾، لو أدت بنات فكري بغير ذنب، ونفضت يدي من الأدب عن الصاحب بالجنب. وبرئت من الأدب وأربابه، وأتيت الزمان من بابه". مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار لابن عسكر وابن خميس - دار الغرب الإسلامي، ط ١ - (ص: ٢١٨).

- **وقال** الفيلسوف العراقي جميل صدقي الزهاوي:

أَيُّهَا النَّاقِدُ الْمُهَيَّنُ لِشِعْرِي  
أَنْتَ مَا بِالنَّزِيهِ فِي النُّقَادِ  
لَا تُحَقِّرْ بَنَاتِ فِكْرِي فِتْلَكُمْ  
كُلُّ مَا قَدْ خَلَّفْتُ مِنْ أَوْلَادِ!

مجلة الرسالة، العدد (٣) ص (١٩).



التصميم الداخلي للكتاب

Tharwat Sultan

TharwatSultan@yahoo.com

للتواصل:

00201019530152